سلسلة الثقافة الإسلامية

الغلو في الدين

إعداد الأستاذ الدكتور/

عمر مولود عبدالحميد

أستاذ الدراسات العليا بجامعة الزاوية

6

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

سورة الأنعام/ الآية "103"

افتتاحية:

نحمد الله على نعمه المتتالية، ونشكره على خيراته المتكاثرة، ونشهد أن لا إله إلا الله شهادة من يسعى لرضاه، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد الذي اصطفاه الله واجتباه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن أتبع هداه.

أما بعد: فإن الله علم الإنسان ما لم يعلم، وجعل في هذا العلم خيره وسعادته دنيا وأخرى، لأن به يعرف حقائق الأمور على وجهها الصحيح، وعن طريقه يحدد مسار سلوكه في هذه الحياة، وبقدر ما نال منه يخطط لمستقبله، وقد أمر الله بأن نطور معارفنا وأن ننمي معلوماتنا، ووسائل التطوير والتنمية في هذا الوقت تكاثرت وتسابقت، منها الجيد ومنها الرديء، ومنها السريع ومنها البطيء، ومنها الرابح ومنها الخاسر، ونظراً لما نشاهده في هذه الفترة حول الخطاب الديني من تلبيس أحياناً، وتحريف لبعض المفاهيم في نفوس طالبي المعرفة أحياناً أخرى، فقد رأيت أن أقدم قبسات من النور حول بعض الجوانب التي غشيها شيء من التلبيس والتشويش بتقديم كتابات مختصرة من خلال كتب ذات حجم صغير يسهل حملها وقراءتها واستيعاب ما ورد فيها، واخترت أن تكون بعنوان رئيس هو: سلسلة الثقافة الإسلامية، وعناوين فرعية تختلف بختلاف موضوعاتها، وأبدؤها بالكتابة حول أمور حصل فيها شيء من التجاوز فهماً أو سلوكاً، وذلك بعنوان "الغلو في الدين" داعياً المولى جلت حكمته أن يوفقني لما إليه قصدت، فهو حسبي وعليه توكلت.

تمهيـــد:

جاءت الشرائع الإلهية لصالح البشرية قاطبة، وقد ختمت بشريعة الإسلام التي شرف بها سيدنا محمد -ﷺ- ليكون بها على رأس قائمة الشرف، ولتكون هذه الشريعة مهيمنة على الحياة كلها؛ تكسوها برداء المحبة والوئام، وتسوسها بالرفق والرحمة ولين الكلام، وهذا هو شأن ما يراد له الدوام والبقاء.

وإنني أتعرض في اختصار غير مخل لعلاج ظاهرة (الغلو في الدين) في مجالات يحسبها بعض من الناس أنها من الدين والدين منها براء؛ لأنّ ديننا الحنيف يتسم بالاعتدال، بما تعنيه هذه الكلمة من دلالة، وينبذ التطرف، سواء كان إفراطاً أو تفريطاً، ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية واضحة جلية في هذا المقام، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ﴾ [البقرة: 185] وقال أيضاً: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: 78].

كما قال -ﷺ-: (يسِّروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)[1].

وسأتناول جزئيات الموضوع على النحو الآتي:

أولاً: معنى الغلو:

الغلو معناه مجاوزة الحد لأي شيء.

والغو في التدين معناه: مجاوزة الحدود التي رسمها الله سبحانه وتعالى في هذا الدين الذي ارتضاه لعباده ليكون خاتماً لكل الشرائع، قال تعالى: ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ [المائدة: 3]، ولا شك أن مجاوزة الحدود في شرع الله تعتبر ممقوتة ممجوجة، لا يصح أن تحصل من العقلاء، وإن حصلت فهي غير مغتفرة في مجتمع يفترض فيه أن يقف عند حدود الله، وأن يستفيد من شرع الله كما أراد الله له أن يكون، فالغلو نهى عنه الشرع الحنيف، وورد هذا النهي في القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله العظيم وعلى ألسنة الشعراء

---

(1) البخاري، رقم الحديث 5774.

والحكماء المسلمين نظراً لأن ضرره كبيير، وخضره شديد أيضاً، ولذا لابد من تنبيه المسلمين إليه وبيان مضاره.

بيان الغلو في القرآن الكريم:

نقرأ قول الله تعالى ناهياً ومخاطباً أهل الكتاب عما ارتكبوه من الغلو بالنسبة للنصارى واليهود: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: 77] وهم اليهود ﴿ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: 77] وأيضاً لعن الذين أدعوا أن الله ثالث ثلاثة في مغالاتهم في عقيدتهم وتجاوزهم للحود المرسومة للعقيدة الصحيحة، دعتهم هذه المغالاة إلى أن يعتقدوا أن الله ثالث ثلاثة: الأب والابن وروح القدس، وهي كما ذكرت ما يعبرون عنها بالأقانيم الثلاثة، أي الأصول الثلاثة التي تكون الإله الواحد، وهذا كلام غريب وتفكير سطحي سيء منحرف، كيف يكون واحداً وهو مؤلف من ثلاثة؟

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّـهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ﴾ [المائدة: 73].

كذلك دعتهم هذه المغالاة إلى أن يعتقدوا أن المسيح ابن الله، وقد نقل الله عنهم ذلك بقوله: ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: 30] فسخر الله تعالى منهم بقوله: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: 30] ثم صحح لهم الفهم حيث قال: ﴿ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [النساء: 171]؛ وليس كما زعموا انه إله أو ابن الإله، فكيف يكون إلهاً وهو مولود؟!

وعلى ذلك يعتبر ما تقدم نهياً عن الغلو في الدين، وقد جاءنا رسول من خير رسل الله، بشريعة تنهي عن الغلو، لم يترك فيها شاردة ولا واردة إلا وشرع الله يهيمن عليها ويغطيها بأحكامه المعروفة، بخلاف الشرائع الأخرى فلم تكن كاملة ولم يكن لها من الكمال ما يجعلها تهيمن على الكون كما هو الحال في شريعة الإسلام: ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[المائدة: 3].

وهذا الإسلام، الدين الوسط الذي لم يقضِ على الروحانيات، من أجل بقاء الماديات وسيطرتها، ولم يتغافل عن الماديات لتنفرد راية الروحانيات، وإنما كان وسطا، فدعا إلى الروحانيات، ودعا أيضاً إلى الماديات، لأن الانسان لا يعيش إلا بالروحانيات وبالماديات معاً: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص: 77] ابتغ فيما آتاك الله من علم ومال وجاه وولد ومكانة وجهد، ابتغ فيها وجه الله والدار الآخرة، لكن لا تنسى نصيبك من الدنيا لأنك مكون أيضاً من الماديات، فلابد أن تحتاج إلى شؤون الدنيا ومادياتها لتستقيم أمورك، ولتتمكن من أداء ما هو روحاني تسعد به في آخرتك إن شاء الله سبحانه وتعالى.

بيان الغلو في السنة النبوية الشريفة:

في هذا المجال نجد الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام يقول: (ليس خيركم من ترك آخرته لدنياه ولا من ترك دنياه لآخرته)[2]، وعلى هذا لابد أن يكون الخيّر هو الذي يأخذ بما يتطلبه الأمر من شؤون الآخرة ويتزود لهذه الشؤون بما هي أهل له، وكذلك لابد أن يأخذ بما تحتاج إليه الدنيا من أمور روحانية حتى لا تطغى الماديات فتنسيه آخرته وعلاقته بربه، وما ينبغي أن نعيش عليه من الإنسانية والعاطفية والرحمة والإخلاص والصدق[3]، من هنا كان هذا الدين وسطاً، والذين وجّه

---

(2) ورد في الفردوس بمأثور الخطاب ج3 ص409، حديث رقم /5249 أنس بن مالك وابن عمر ليس خيركم من ترك آخرته لدنياه ولا من ترك دنياه لآخرته حتى يصيب منهما جميعاً فإن يبلغه إلى الآخرة ولا تكونوا كلا على الناس، جاء في الفيض القدير، ج5، ص364 مما يعتبر شرحاً لذلك: ليس بخيركم من ترك دنياه لأخرته ولا أخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً فإن الدنيا بلاغ إلى الآخرة ولا تكونوا كلا عيالاً وثقلاً على الناس لأنه سبحانه أنزل المال ليستعان به على إقامة حقوقه الموصلة إلى الدار الآخرة لا للتلذذ والتمتع فهو وسيلة إلى الخير والشر فأربح الناس من جعله وسيلة إلى الدار الآخرة واخسرهم من توسل به إلى هواه ونيل منها والدنيا على الحقيقة لا تذم وإنما يتوجه الذم إلى فعل العبد فيها وهي قنطرة ومعبرة إلى الجنة أو النار ولكن لما غلبت عليه الحظوظ والغفلة والإعراض عن الله والذم للآخرة وصار ذلك هو الغالب على أهلها نمت عند الإطلاق وإلا فهي مزرعة الآخرة ومنها زاد الجنة.

(3) جاء في المستدرك على الصحيحين، ج4، ص349، حديث رقم/7870، ما نصه: حدثنا أحمد بن كامل القاضي ثنا جعفر بن عثمان الطيالسي ثنا يحيى بن أيوب ثنا عبدالجبار بن وهب أنبأ سعد بن طارق عن أبيه رضي الله عنه قال رسول الله –ﷺ–: نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لأخرته كي يرضي ربه –عز

إليهم هذا الدين هم أمة الوسط: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: 143] هذا هو منطق النقل الذي بين الله فيه ورسوله عليه الصلاة والسلام أن العيش الوسط وأن الدين الإسلامي هو خير دين ينبغي أن نعرفه وأن نطبقه حتى لا نقع في شراك الغلو الذي يمقته الله وينهي عنه.

بيان الغلو في كلام عقلاء الأمة:

أيضاً العقلاء من الأمة دعوا إليه في أشعارهم، والحكماء أيضاً نطقوا به في حكمهم:

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعبا[4]

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة فعلاً، لأن خير الأمور أوسطها فلا تركب ذلولاً لأنها لا تنفعك، ولا تركب صعباً أيضاً لأن الصعب أحياناً يسقطك فتقع في مهاوي النسيان والهلاك، إنما أركب من شؤون الحياة ما أنت مهيأ له، ومتواجد في ميدانه، وهي الوسط وقد قال شاعر آخر في مثل هذا المقام:

حب التناهي شطط خير الأمور الوسط

حب التناهي شطط[5]

وجل– وبئست الدار لمن صدته عن أخرته وقصرت به عن رضاء ربه وإذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله أعصانا لربه: هذا حيث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(4) انظر: تفسير القرطبي، ج6، ص21، وفيه: قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ نهى عن الغلو والغلو التجاوز في الحد ومنه غلا السعر يغلوا غلاء وغلا الرجل في الأمر غلوا... ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربا فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر ولذلك قال مطرف بن عبدالله الحسنة بين سيئتين وقال الشاعر:

وأوف ولا تسوف حقك كله وصافح فلم يستوف قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمور واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال آخر:

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولاً ولا صعباً

إذ أنت حاولت أن تكون دائماً في منتهي الأمور تبحث على نهايتها ولا تقنع بأوساطها، تقع في الشطط[6]، والشطط مخاطرة كثيرة[7].

والشاعر لم يبين هوية الشطط، ولا حكمه، عندما قال: (حب التناهي شط)، فتلافى الحكيم ذلك، لأن الحكيم لابد أن يكون في كلمته دقيقاً وفي معناه أيضاً، ولذلك قال نفس الشطرين إلا أنه قدم وآخر وأتى بما هو مطلوب من جميع جوانبه قال:

خيـــر الأمـــور الوســـط وشـــر الأمـــور الشـــطط

عوامل الغلو:

---

(5) جاء في لسان العرب، الشطاطُ: البُعْدُ، شَطَّت دارهُ وتَشُطُّ وتَشِطُّ، بِغُدت، وكل بعيدٍ شاَطٌّ، ومنه: أعوذ بك من الضِّبنة في السفر وكآبة الشِّطَّةُ، بالكسر: بُعْد المسافة من شطت الدار إذا بعُدت، والشِّطَطُ، مُجَاوَزَةُ القدر في بيع أو طلب أو احتكام أو غير ذلك من كل شيء مشتق منه، وفيه أيضاً: حديث ابن مسعود –رضي الله عنه–: لها مَهْرُ مثلها لا وكس ولا شطط أي لا نُقصان ولا زيادة، وفي التنزيل العزيز ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطاً﴾ ؛ قال الراجز: يحمون ألفا أن يُسَامُوا شططا، وشطَّ في سلْعته وأشط: جاوز القدر وتباعد عن الحق. وشط عليه في حكمه ...وقوله –عز وجل–: ﴿ لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ ؛ قال أبو إسحاق: يقول لقد قلنا إذا جوزا ... والشطط: مجاوزة القدر في كل شيء، وجاء في القاموس المحيط: والشطاط، بالكسر: هو البعيد ما بين الطرفين، وشطط تشطيطاً: بالغ في الشَّطط، وجاء في كتاب العين: والشطط: مجاوزة القدر في كل شيء.

(6) شطط: في حديث تميم الداري أن رجلا كلمه في كثرة العبادة فقال: أرأيت إن كنت مؤمنا ضعيفاً وأنت مؤمن قوي إنك لشاطي حتى أحمل قوتك على ضعفي فلا أستطيع فأبت أي إذا كلفتني مثل عملك مع قوتك وضعفي فهو جور منك وقوله إنما لشاط أي لظالم لي من الشطط وهو الجور والظلم والبعد عن الحق وقيل هو من قولهم شطني فلان يشطني شطا إذا شق عليك وظلمك ومنه حديث ابن مسعود لا وكس ولا شطط، أنظر: النهاية في غريب الأثر، ج2، ص474، 475، وفي ذلك المعنى قال الشاعر:

يـا مـن يرجـى أن يعـيش مسـلما جـذلان لا يـدهي بخطـب يحـزن
أقرطت في شطط الأماني فاقتصد وأعلـم بـأن مـن المنـي مـا يفـتن
لـيس الأمـان مـن الزمـان بممكـن ومـن المحـال وجـود مـا لا يمكـن

أنظر قرى الضيف، ج4، ص382.

(7) أنظر: البيان والتبيين، ج1، ص508، وفيه: قالوا خير الأمور أوسطها وشر السير الحقحقة، قال والمثل السائر والصواب المستعمل: لا تكن حلوا فتزدرد ولا مرا فتلفظ، وقال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: إن هذا لا يصلحه إلا لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وكان الحجاج يجاوز العنف إلى الخرق، وكان كما وصف نفسه قال: أنا حديد حقود وذو قسوة حسود.

عرفنا هنا أنّ الشطط شر، وهو الغلو والمغالاة، وقبل أن نعرف نتائج هذا الشطط الذي هو الغلو، والذي تحذر منه شرائع السماء، وحذر منه الشعراء والحكماء، لابد أن نعرج على البواعث والدوافع التي تدفع الانسان إلى أن يركب متون المخاطر، وإنا نذكر بعضها فيما يلي:

ثانياً: عوامل الغلو الداخلية والخارجية:

للغلو في التدين العديد من العامل منها: الداخلية ومنها الخارجية:

1- العوامل الداخلية:

لعل الطمع والخوف من أهم العوامل الداخلية التي قد تدفع الانسان إلى الغلو في التدين، ولهذا يتم التركيز في الحديث عنهما.

الداعي الأول: الرغبة في النعيم أو الطمع:

الطمع في مرضاة الله، وفي نعيم الجنان، وما يسمعه مما يتلى من القرآن وما يتردد على ألسنة العلماء، وقد وقع في هذا بعض صحابة رسول الله -ﷺ-، حينما جاء رهط إلى السيدة عائشة يسألونها عن عبادة رسول الله -ﷺ-، وكانوا ثلاثة فلما أخبرتهم عن عبادته تقالّوها، وقالوا يعني هذه عبادة قليلة لا تنفعنا، نحن نريد ما ذكره القرآن الكريم من النعيم المقيم في جنات النعيم، وما ذُكر لنا من عبادة رسول الله -ﷺ- لا توصلنا إلى هذا، وكيف يكون رسول الله -ﷺ- مقتصراً على هذه العبادة، وهم يعلمون أن السيدة عائشة صادقة فيما قالت، ونحن نعلم مكانتها، ونعلم من هي، لكنهم تداركوا فقالوا: أين نحن من رسول الله -ﷺ-؟ إنه مشغول بالدعوة، وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر فعندما يقتصر على هذه العبادة فلأنه؛ أولاً: مشغول بشؤون الدعوة وتربية الرجال، وثانياً: لأنه مغفور له، ولذلك لا يصح أن نقتصر على ما عرفناه عن سلوكه في عبادته، وعلينا أن نشق طريقنا نحو الجنان بما يرضي الرحمن، قال أحدهم: إني أصوم الدهر كله، وقال ثانيهم: إني أحيي الليل ولا أنام،

وقال ثالثهم: إني أهجر النساء وأتبتل لله فلن أسأل عن النساء، فلما لقيهم قال لهم: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ قال: نعم يا رسول الله، قال : أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكني أصلي وأرقد وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، ثم أردف ذلك بالكلمة الصعبة: فمن رغب عن سنتي فليس مني، هذه الكلمة التي تجعل المسلم لا يجب أن يكون إلا متبعاً لهذه السنة.

فإذا بتلك القلوب التي كانت تائقة تبحث عن الجنان وطعامها وخيراتها، وأرادت أن تركب متن الشطط، وأن تغلو في دينها، إذ بها تعرف أنها كانت على خطأ، وأن المسلم عليه أن يسير نحو الجنان لا بالطمع الذي كانت تريده نفسه في تكثيف العبادة ونسيان ما عداها من شؤون الدنيا، المتكاثرة، فلا بد أن يقوم المسلم بفعل ما في وسعه أن يقوم به مما له صلة بالحياة الدنيوية والحياة الأخروية، هذا يمثل طمع من لم يكن طعمه زوراً وبهتاناً، وهم صحابة رسول الله-ﷺ- الذين أثنى الله عليهم في القرآن الكريم قال: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: 100].

فلا غرابة فيمن يأتي من بعدهم؛ وقد أظلمت الدنيا أمامه، عندما كثرت في ظنه المساوئ والأخطاء، وطمع في أن تمحى هذه الأخطاء والذنوب والمعاصي فارتمى في أحضان ما يظن أن عبادة، حتى وصل إلى مرحلة الشطط، فربما يأتيه من النتائج ما يمكن أن نشير إليه في آخر المطاف إن شاء الله سبحانه وتعالى.

الداعي الثاني: الخوف من الله:

كثرة الذنوب والمعاصي قد تجعل نفراً من الناس يركبون الصعب ويغلون في دينهم، فيتجردون للعبادة – وياليتها العبادة الحقة – لأن التجرد للعبادة قد يجرهم إلى تجاوز الحدود فيصلون إلى درجة المغالاة، بحيث يرهقون أنفسهم فيصبحون في درجة صعبة لا هم من صحتهم ولا هم من دينهم، كما سنعرف في النتائج إن شاء الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء النفر إن تواجدوا كثيراً – قديماً وحديثاً- ممن يمكن أن

يقع أحدهم في المعاصي ويراجع شريط حياته فيجده مظلماً، كثير العثرات والحفر، كحفر العديد من طرق وشوارع مدننا العربية.

ماذا إذا عندما يجد وضعه بهذا الشكل؟ ماذا يقول؟ وبخاصة إذا تقدمت به السن، وربما يرى أن تقدم السن هو اقتراب من القبر قد يضيق ذرعاً بماضيه فيدفعه هذا الضيق إلى نسيان الدنيا وما فيها من نعيم وواجبات عليه وما لأقاربه ولنفسه من حقوق، فيرتمي في المسجد أو في مكان يراه صالحاً للتنسك والتعبد وعدم مخالطة البشر فيهمل الدنيا وشؤونها وحتى ما يحتاج إليه في مأكله وملبسه طمعاً في محو هذه الذنوب التي أثقلت ظهره وأملاً في أن الله يرزقه من حيث لا يحتسب من عيش الدنيا وتكاليف الحياة فيها مع أنه ينبغي أن لا يتكل على غيره في شؤون الدنيا، وعليه أن يجدَّ وأن يجتهد في أعمال الخير، لكنه ليس معذوراً في أن يترك سبيل الحياة طرق العيش.

ولذلك عندما رأى سيدنا عمر –رضي الله عنه– أحد الصحابة في المسجد في زمن لا يكون للصلاة استدعاه وسأله ما الذي أقعدك هنا؟، قال: أعبد الله، قال: أتعبد الله في غير وقت الصلاة؟ أليس هناك شؤون للحياة يجب أن تقوم بها؟ فمن يكفيك شؤون الدنيا؟ قال: أخي يكفيني شؤون الدنيا، قال: إن أخاك أفضل منك عند الله، فاترك المسجد في غير وقت الصلاة وفي غير وقت العبادة وفي غير وقت قراءة القرآن.

وعليك أن تعمر المسجد في الوقت الذي كلفك الشرع بتعميره فيه وأن تنطلق للحياة تسهم في تكوينها.

ولا غرابة أيضاً أن يحصل من ذلك الرجل العظيم أبو محمد عبدالله بن عمرو بن العاص مثل ما حصل من هذا الرجل حينما زوجه أبوه ولاحظ الأب على ابنه عزوفه عن الدنيا وأراد ان يتأكد من كنته –زوجة ابنه– سألها عن عبدالله كيف حاله فأثنت عليه خيراً، وقالت هو خير الرجال وأفضل الرجال لكنه لم يأوِ إلى فراشه منذ

أن جئت لهذا البيت، فهو موقف صعب جداً، المرأة عندما تنتقل من بيت عاشت فيه ومن دفء هذا البيت وحنانه، يفترض أن تجد تعويضا في البيت الذي تسكنه جديداً بحيث يكون زوجها بمثابة أب وأم وأخ وأخت، تجد عنده الحنان و حسن المعاشرة.

وقد حدث عبدالله بن عمر عن نفسه فقال لمن سأله[8]: عندما كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، قال: فإما ذكرت للنبي -ﷺ- وإما أرسل إليّ فأتيته فقال لي ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟ فقلت بلى يا نبي الله ولم أرد بذلك إلا خير، قال: بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، قلت : يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فإن لزوجتك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك علك حقاً، قال: فصم صوم داود نبي الله -ﷺ- فإنه كان أعبد الناس. قال فقلت: يا نبي الله وما صوم داود؟ قال: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، قال واقرأ القرآن في كل شهر، قال قلت: يا نبي الله: إني أطيق أفضل من ذلك، قال فاقرأه القرآن في كل عشرين، قال قلت: يا نبي الله: إني أطيق أفضل من ذلك، فاقرأه في كل عشر، قال قلت: يا نبي اله: إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فاقرأه في كل سبع ولا تزد على ذلك فإن لزوجتك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولجسدك عليك حقاً، قال: فشددت فشدد علي، قال وقال لي النبي -ﷺ- إنك لا تدري لعلك المطلوب بك عمر، قال: فصرت إلى الذي قال لي النبي -ﷺ-، فلما كبرت وددت أني كنت قبلت رخصة نبي الله -ﷺ-[9] وقد ورد الحديث من عدة طرق وروايات[10].

---

(8) أخرج الحديث برواية مسلم، ج2، ص813، حديث رقم /1159، وأوله: حدثنا عبدالله بن محمد الرومي حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة وهو بن عمار حدثنا يحيى قال انطلقت أنا وعبدالله بن يزيد حتى نأتي أبا سلمة فأرسلنا إليه رسولاً فخرج علينا وإذا عند باب داره مسجد قال فكنا في المسجد حتى خرجوا إلينا فقال إن تشاؤوا أن تدخلوا وإن تشاؤوا أن تقعدوا ههنا قال فقلنا لا بل نقعد ههنا فحدثنا قال حدثني عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: .....

(9) صحيح مسلم، ج2، ص813.

(10) ينظر المرجع السابق، ص814، حديث رقم /1159 ومكرراته، ص815، حديث رقم /1159.

هكذا كان عبدالله بن عمرو بن العاص يحدث عن نفسه حينما جاءته النتيجة التي سنشير إليها، وهي أن الانسان خلق ضعيفاً، والقرآن بين تكون الانسان من بدايته إلى نهايته: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾، وفي قراءة من ضُعف، ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: 54].

فالإنسان خلق من ضعف وسيؤول أمر آخرته إلى ضعف حتى يوارى التراب، فإن ركب شططاً وبحث عن أعالي الأمور ونهايتها، ولم يرض بأوساطها، فماذا سيفعل عندما يأتي زمن الشيب والكبر والرُكب تضعف والمفاصل ترتخي والعزيمة تخور؟ ماذا سيفعل عند ذلك.

تحدث عن نفسه بعد ذلك فقال: ليتني رضيت بما أمرني به رسول الله-ﷺ- ولكنه رضى الله عنه داوم على ما فارق عليه رسول الله-ﷺ-، وما أمره أن لا يزيد عليه، حتى إنه إذا أصابه العياء والتعب بعض الأيام، حصرها وتداركها بعد أن يرجع إليه نشاطه، لأنه يرى أن لا يلاقي رسول الله -ﷺ- وهو يائس أو فاقد أو محطم للوعد الذي قطعه بين يديه وارتضاه لنفسه.

هذا في الحقيقة يمثل جانباً من الغلو، والرسول لم ينه عبدالله بن عمرو فحسب ولا الرهط الثلاثة فحسب، وإنما جاءه رسول يقول له: يا رسول الله أمي نذرت أن تحج إلى بيت الله الحرام ماشية، فما الحكم قال له: مرها فلتركب، فإن الله غني عن مشيها(11). لأنه من يصل إلى الحج بنية صادقة وهو راكب في الطائرة ما دامت

---

(11) أنظر: مصنف عبدالرزاق، ج8، ص451، وفيه :عبدالرزاق عن معمر عن يحيى بن أبي كثير أن عقبة ابن عامر سأل النبي -ﷺ- عن أخت له نذرت أن تمشي إلى البيت فقال النبي -ﷺ- لتركب ثم سأله الثانية فقال لتركب ثم سأله قال حسبت أنه قال الثالثة فقال لتركب فإن الله غني... عن عبدالرزاق عن ابن جريج قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب أن يزيد بن أبي حبيب أخبره أن أبا الخير حدثه عن ابن جريج قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب أن يزيد بن أبي حبيب أخبره أن أبا الخير حدثه عن عقبة بن عامر أنه قال نذرت أختي أن تمشي إلى بيت الله عز وجل فأمرتني أن استفتي لها النبي -ﷺ- فاستفتيت لها النبي -ﷺ- فقال لتمشي ولتركب قال كان أبو الخير لا يفارق عقبة، وأنظر أيضاً: مسند الإمام أحمد، ج4، ص201، وورد في المنتقى لابن الجارود، ج1، ص236، حديث رقم /936 ونصه: حدثنا حماد بن الحسن بن عنبسة الوراق

موجودة بدلاً من أن يعذب نفسه ويعرضها للمخاطر، وقد لا يتمكن من تحقيق الغرض بسبب مشيه في أدوات بطيئة الوصول، هذا الشخص لو أدى الحج بناءً على هذا التعب – حسب ما يصور هذا الحديث وهذه الحادثة – أن أجر من تعب للوصول إلى الحج ماشياً وله قدرة على أن يركب، لا يزيد أجره –في علمنا– على من ركب فوصل وتمكن وأخذ بالحيطة حتى لا يفوته ذلك، وأدى الغرض المطلوب وهو في أقل تعب – بناءً على ركوبه – من ذلك الشخص الذي ذهب ماشياً.

تحدثنا السنة النبوية الصحيحة أيضاً، أنه كان عليه الصلاة والسلام ذات يوم يخطب فرأى رجلا واقفاً، واستمر واقفا، والمقام يستدعي الجلس، لأنه في بيت الله، ولأنه يعلم صحابته عليهم الرضوان، وهذا الشخص ظل واقفاً، لماذاً؟ فسأل ما بال هذا واقفاً؟ قالوا: هذا وعد ونذر ألا يجلس، وألا يستظل، وهو يصوم ولا يفطر، وكلام كثير، فقال لهم: مروه فليجلس وليستظل وليكمل صومه[12]، لأن هذه عبادة لا يجوز قطعها إلا لضرورة متى حصل الشروع فيها عملاً بقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: 32] الذي نذر، أو وعد أن يظل واقفاً، يرى أن الوقوف فيه عذاب له، وهذا العذاب سيكون سبباً في زيادة

قال ثنا داود عن همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عقبة بن عامر –رضي الله عنه... أنه سأل النبي –ﷺ– عن أخته نذرت أن تمشي إلى الكعبة قال: إن الله لغني عن نذر أختك لتركب ولتهد بدنة، ورواه خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس –رضي الله عنهما– ولم يذكر ولتهد بدنة، كما ورد فيه الحديث رقم /937 ونص: حدثنا أبو جعفر الدارمي قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا بن جريج عن يحيى يعني ابن أيوب عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر رضي الله عنه... أن أخته نذرت أن تمشي إلى البيت واستفتي لها رسول الله –ﷺ– فقال مرها فلتركب وكان أبو الخير يلزم عقبة.

(12) أخرج البخاري، في صحيح، ج، ص/2465، حديث رقم /6326 حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثتنا أيوب عن عكرمة عن بن عباس قال: بينا النبي –ﷺ– يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يباع ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال النبي –ﷺ– مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه، وأنظر: المنتقي لابن الجارود، ج1، ص236 حديث رقم/938.

أجره، أو في محو ذنبه الذي ارتكبه، وربما عندما أقدم على هذا يرى أن له ماضياً أو أن له نوعاً من التقصير أو القصور في العبادة.

فهذا الرسول العظيم –ﷺ– الذي ننهل من محيطه العذب السلسبيل، الذي قال عنه: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي[13]، يعلم أن هذا هو الطريق الصحيح، وأننا إذا حاولنا أن نعيش على القرآن، وسنة النبي الكريم الذي أنزل عليه القرآن يجب أن نبتعد عن الغلو والمغالاة، ونبتعد عن الشطط، وعن كل شيء يبعدنا عن الوسطية التي كلفنا بها، والتي وصفنا بها خالق الكائنات الذي ارتضى لنا الإسلام ديناً.

2– العوامل الخارجية للغلو:

ما تقدم يمثل عاملين أساسيين للغلو من داخل النفس، وهناك عوامل تدفع للغلو من خارجها، وهي كثيرة، نشير إلى أهمها وهو:

أ– أخذ العلم عن غير المتخصصين:

ويكون ذلك عن طريق الرجوع إلى المصادر والمراجع الشرعية مباشرة، من أشخاص لم يكن لهم من المعرفة سوى المبادئ الأولية، دون أن يكونوا عارفين بالقواعد الفقهية والأصوليين، ومبادئ العلوم التي لا يصح لأي إنسان أن يغوص في أحكام الشريعة بمفرده دون أن يكون على معرفة جيدة بها، فإذا حاول هذا أن يأخذ الأحكام الشرعية من الكتب مباشرة، وينشرها بين الناس فلا بد أن يقع في الأخطاء التي يصعب جبرها وتلافيها، لا منه ولا من غيره، أما لأنه يعتقد في داخل نفسه أنه على حق، وبالتالي فلن يتراجع إذا عارضه أحد فيما قال وإما لن الغير لا يجرؤ على

(13) أنظر: سنن البيهقي، ج10، ص114، وسنن الدارقطني، ج4، ص245 والمستدرك على الصحيحين، ج1، ص172.

معارضته بالرغم من علمه بحصول الخطأ، لأن المخطئ تكونت له شخصية ذات اعتبار في المجتمع يصعب مجاهرته في خطئه.

ب- أخذ العلم من وسائل الإعلام:

المتخصصون يعرفون أن كثيراً من الفتاوي التي تأتي بها الأطباق فيها الغث والسمين، والغث ربما يسارع إليه كثير من الناس؛ لأن فيه من الاستغراب ما يجلبهم إليه ليكونوا أيضاً في المجتمع مشهورين بالغريب، والنفس تحت أن تكون مخالفة، فهذا الذي نسمعه في كثير من الفتاوي الغربية، من مثل عدم توريث الأنثى من العقار، وكأنهم لم يقرؤوا قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: 11]، فكلمة مثل مضاف والمضاف يعم، فهو من صيغ العموم، فيعم المثل الذي يكون للرجل فيه نصيبان وللأنثى نصيب واحد، من كل ما يمكن أن يسمى تركه، والتركة تشمل المنقول وغير المنقول، من عقار وشجر، وفي المنقول من حيوان وعروض ومطعون ....الخ، فقالوا: الأنثى لا ترث من العقار، وكأنهم يحسبونها جملاً لا تستطيع أن تنقل العقار بانتقالها إلى بيت زوج، وأما الرجل فإنه يستحقه لأنه هو الذي سيبقى فيه، وما دامت الأنثى لم تكن بقرة ولا جملاً تنقل العقار، فلا يحق أن يكون لها ميراث منه، وكلام غريب، وهذا موجود في الأطباق، وموجود في غيرها، حتى صار يعلم لأولادنا على ألسنة من صاروا ينشرون هذه المبادئ وينشرون أكثر من هذا، فيقولون إن نكاح المتعة جائز، وللأسف يناقش بعضهم في هذه المسألة ويدعو إليها، بإلحاح في وطن أساس دينه الشرف والعفة والطهارة.

ج- التقليد والجمود:

إذا الدوافع إلى الغلو من الخارج كثيرة، الغلو في أن يعطي وأن يستمر في الدعوة وفي العمل، أعني لأنه وجد التوقير والتقدير، وروافد الشيطان وأعوانه ينفخون في قلبه ويدفعونه إلى الاستمرار في هذا المجال، فيضل ويضل غيره، والواقع أن

كثيراً في زمن الدولة العثمانية وفي بعض من الأوقات، صارت هناك موجات من أنواع العبادات التي لا يقرها الإسلام، لأنها تغري الناس بالراحة وعدم متابعة المسئولين في أخطائهم وإحصائها عليهم، فيبقون لاهين في العبادات المذكورة – وهي موجودة على الساحة الإسلامية والعربية حتى في هذا الزمان– مثل بعض الحركات الصوفية المغالية، وهي من الغلو والشطط الذي يجعل الإنسان غائباً عن الحياة، فلا يشارك في تأسيس الدولة، ولا في أركانها، مع أنه مكلف بأن يكون عنصراً فاعلاً فيها.

ثالثاً: نتائج الغلو:

للغلو نتائج كثيرة وخطيرة، نذكر منها:

1- أنه قد يصل بصاحبه إلى الكفر، كما حصل لليهود والنصارى حيث غالوا في محبة أنبيائهم حتى وصلوا بهم إلى حد التأليه والعبادة، وكما يصل الغلو بصاحبه فيما يحب على نحو ما ذكرنا إلى درجة الكفر، فإنه قد يصل به إلى ذلك في حال الكره للشيء، فمثلاً الغلو في كره تعدد الزوجات، وفي أن يكون ميراث الأنثى نصف ميراث الذكر وكراهية الرق الذي أباحه الإسلام عند توفر أسبابه يكوّن نفس النتيجة؛ لأنه يؤدي إلى إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

2- قد يصل الغلو بصاحبه إلى حرمانه من طيبات الحياة وملذاتها التي أحلّها الله تعالى له سواء في الملبس أو في المأكل أو في المشرب، والله لا يريد منه ذلك بصريح قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: 32] وقوله تعالى: ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: 31] وقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: 31].

3-إخراج المغالي في الدين من حظيرة المجتمع الطيب إلى حظيرة المنبوذين، لأنه حرم ما لا يجوز تحريمه، ولأنه خرج عن طور التعقل إلى طور التهور سلباً، فقد يصبح عضوا معطلاً لا خير يرجى من ورائه، مع أن المرجو منه أن يكون كالشجرة الطيبة، طيب ظلها. وطيب ثمرها.

طرق العلاج:

الغلو في التدين مرض لابد له من علاجه، وتتعدد طرق علاجه، والتي نرى من أهمها ما يلي:

1-دور المسجد:

رسالة المسجد لا تقتصر – كما يتبادر إلى بعض الأذهان – على أداء الصلوات، بل تعمها وتعم ذكر الله عامة بما في ذلك الدعاء والتسبيح والاستغفار وقراءة القرآن والتعليم والوعظ والإرشاد، مصدقاً لقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: 36]، وحيث إن موضوعنا هنا يعلق بعلاج الغلو، فإن الذي يناسبه تسليط الضوء على الجزئية الأخيرة من جزئيات رسالة المسجد وهي الوعظ والإرشاد المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمعروف هو ما عرفه الشارع الحكيم بمعنى أن الشريعة ترتضيه وتدعو إليه، وهو ما يناسب العقول السليمة والفطرة التي فطر الله الناس عليها، أما المنكر فهو خلاف ذلك، أي ما أنكرته الشريعة واستقبحته العقول السليمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان على الكفاية، إذا قام بهما بعض الأمة سقط الطلب عن الباقين، يدلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]، فالأمر وجّه إلى أمة منا والأمة هنا بمعنى الجماعة تصدق على أي عدد، كما يدل على الوجوب أيضاً قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110]، وقوله أيضاً: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:71]، ومن السنة النبوية قول الرسول -ﷺ- (لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم)[14]، وقوله -ﷺ- (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطيع فبلسانه...)[15] الحديث، وقد أجمعت الأمة على وجوب الأمر بالعروف والنهي عن المنكر، لأن الرسل إنما بعثوا لهداية الخلق وإرشادهم إلى ما يسعدهم في الدنيا والاخرة وذلك لن يكون إلا بالكلمة الصادقة والحكمة البالغة، وهو جوهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتجلى الحكمة من وجوبهما أن طبيعة الإنسان نزاعة إلى الراحة والكسل والميل إلى إرضاء مطامع نفسه وشهواتها، وحبه لذاته ومتع الحياة وطمعه فيما لدى الغير، كما قد تعتري الإنسان الغفلة عمّا هو مطلوب منه نحو نفسه وأسرته ووطنه وخالقه، فإذا اختفى صوت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثر الفساد وأهملت الواجبات وضاعت الحقوق والتبست الأمور على الناس، وعندها قد يصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً وتصير الحياة جحيماً لا يطاق فيحل بالناس غضب الله فلا يستجاب دعاء ولا يقبل نداء.

وحتى يكون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أثر إيجابي لابد أن تتوفر في الآمر الناهي الصفات التالية:

أ- أن يكون على درجة كبيرة من العلم بالقرآن وعلومه والسنة النبوية وعلومها واجتهادات المجتهدين، وعلى دراية بالحكم المأثورة والأمثال المعروفة وحوادث التاريخ بخاصة منها تاريخ أمته، كما أن إدراك حقيقة وعمل الدعاة من شأنه أن يساعد على إنجاح مهمة الآمر الناهي.

---

(14) سنن الترمذي، 222/4، حديث رقم/1762.

(15) مسلم، 45/1، حديث رقم: 49، رياض الصالحين، 516/1، حديث رقم/189.

ب- أن يكون على قدر كبير من الورع والتقوى، ليرتدع بذلك عن مخالفة ما يأمر به وينهى عنه ليكون قدوة لمن يسمع مواعضه.

ج-أن يكون على خلق قويم ليتمكن من أداء مهمته في مجتمعه، وليلقى ما يقوله قبولاً حسنا من الناس.

د- أن يتصف أسلوبه في أمره ونهيه باللطف والاعتدال عملاً بقول الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125].

هـ- أن يكون أمره ونهيه لله سبحانه وتعالى فلا يرائي ولا ينافق به أحداً ولا يبتغي به لنفسه جاهاً أو منعة.

فإذا ما توفرت في الآمر الناهي هذه الصفات أمكنه أن يقوم برسالته على الوجه الكمال فيجذب قلوب السامعين إليه ويؤثر فيهم، وعليه حينئذ أن يبدأ أولاً بتعريف المغالين بخطأ ما أقدموا عليه وتوضيح وجه الصواب لأن خطأهم قد يكون ناشئاً عن جهل بما هو صواب، فإن لم يجد ذلك انتقل إلى نصحهم وإرشادهم وتخويفهم بالله تعالى وبيان عقابه لمن يصر على خطأه، كل ذلك بشفقة ولطف من غير عنف ولا غضب، فإن المغالي إذا ما وجد مثل هذا الأسلوب في دعوة الواعظ له إلى جادة الصواب، فلربما استجاب لتلك الدعوة وترك ما كان عليه من المغالاة.

2-فهم الأحكام الشرعية فهماً صحيحاً:

يكون فهم الأحكام الشرعية من خلال دراسة متأصلة متأنية، ترتكز على القرآن الكريم والسنة النبوية، وما وصل إليه المجتهدون من أحكام شرعية اقتضتها حاجة الناس وظروفهم عبر التاريخ المديد للأمة الإسلامية على أن تكون هذه الدراسة على أيدي علماء متخصصين، ومن خلال مناهج دقيقة ميسرة تمكن الدراسة من التشبع بروح شريعته، والدراية العميقة بأحكامها، عملاً بقول الله: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: 22]، وكذلك قوله جلت حكمته: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ

وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، وقوله أيضاً: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]، إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى معرفة أحكام الشريعة وأخذها من أهل العلم المتبحرين في العلوم الشرعية، يعاضدها ما ورد عن النبي –ﷺ– في هذا المقام من قوله (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[16]، وقوله –ﷺ– (من سلك طريقاً يطلب فيها علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة)[17])، وقوله عليه الصلاة والسلام (إن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)[18]، فهذه الأحاديث وغيرها تحث على التفقه في الدين، وتبيين مكانة من يسعى إليه عند الله، ومنزلة من يبذل جهده في توصيله لطالبه، وبالرغم من أننا نسلم بصحة اجتهادات مجتهدي هذه الأمة على مر العصور منذ ظهور رسالة الإسلام، فإننا نلاحظ أن الفقه المالكي الذي انتشر في هذه البلاد منذ عهدها الأول بالإسلام، جدير بإعطاء أتباعه الحكم الشرعي المتصف بالوسطية ونبذ الغلو، حيث يقوم هذا الفقه على مراعاة عمل أهل المدينة في زمن إمام هذا الفقه، الذي عاش في فترة زمنية قريبة من روح النبوة وريحها، وعهد صحابته –ﷺ–، كما أنه يقوم على مراعاة سد الذرائع المؤدية إلى المحاذير ومن بينها الغلو في التدين، وتتجلى مظاهر الوسطية أيضاً في الفقه المالكي، من خلال اعتداده بمصالح الناس وأعرافهم في الكثير من الأحكام الشرعية، التي يؤدي اتباع الغلو فيها إلى إلحاق الضيق والحرج الشديدين بالناس، وتفرق صف الأمة، وتصدع بناء المجتمع الإسلام.

ومما يؤكد المكانة الرفيعة التي يتمتع بها الفقه المالكي من بين المذاهب الفقهية الأخرى، ما ورد في المحاورة التي جرت بين الإمام الشافعي وأبو يوسف أحد أصحاب أبي حنيفة، والتي جاء فيها قول الشافعي لأبي يوسف: أنشدك الله:

---

(16) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب: إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين 453/4 حديث رقم /2645.

(17) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم 313/3 حديث رقم 3641.

(18) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم 313/3 حديث رقم 3641.

أصاحبنا –يعني مالكاً– أعلم بكتاب الله أم صاحبكم؟ –يعني أبا حنيفة– فقال أبو يوسف: صاحبكم . فقال الشافعي: أصاحبنا أعلم بسنة رسول الله –ﷺ– أم صاحبكم؟ فقال: صاحبكم. فقال : أصحابنا أعلم بأقضية الصحابة رضوان الله عليهم أم صاحبكم؟ فقال: صاحبكم. فقال: إذن لم يبق لصاحبكم إلا القياس، وهو فرع النصوص، ومن كان أعلم بالأصل كان أعلم بالفرع.

3-البيئات الثلاثة:

المراد بالبيئات الثلاثة هي البيت، والمدرسة، والشارع، والتي لها دور مهم في تكوين شخصية الأفراد، وخاصة النشء منهم.

أ- فدور البيت يعد أساساً في توجيه الأفراد إلى اتباع السلوك السوي الذي يقوم على الفهم الصحيح للشريعة الإسلامية، وهو ما سيؤدي إلى سلامة الناشئة من الوقوع في غوائل الانحراف بشقيه: التفريط أو الإفراط (الغلو)، فعلى رب الأسرة أن يكون واعياً بالدور المنوط به نحو أفراد أسرته، عملاً بقوله –ﷺ– (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...)[19] الحديث، بأن يكون أولاً: قدوة حسنة لهم باتباعه للتعاليم الشرعية والتخلق بها في إطار من الاعتدال والوسطية، لن بقية أفراد الأسرة يرون فيه المثل الأعلى لهم، وثانياً: عليه أن يتعهدهم بالتوجيه والتسديد، وأن يتابع تصرفاتهم داخل البيت وخارجه، فلا يتركهم ضحية لقرناء السوء، فيقعون في براثن الغلو والتطرف.

ب- المدرسة: إن الدور المنوط بالمدرسة مهم جداً، وهو يتمثل في صياغة سلوك الفرد صياغة سليمة قائمة على خلق الشخصية الإسلامية له، وذلك بإعطائه الزاد العلمي النافع الذي يقوم على فهم أحكام دينه الصحيحة، ومعرفة مآثر السلف الصالح من خلال قراءة سيرهم العطرة وأمجادهم الخالدة التي تبرز

(19) البخاري، 512/2، الحديث رقم /893، مسلم 423/2، حديث رقم/1829

فيها صفات الشجاعة والمروءة وعزة النفس، لينشأ الفرد عارفاً بالأحكام الشرعية، متمسكاً بها، نابذاً للتطرف والسلبية، مدركاً دوره الرائد في المجتمع، مقتدياً في كل ذلك بسير أسلافه الصالحين.

ج-الشارع: المقصود من الشارع هو المحيط الاجتماعي عدا البيت والمدرسة، فيشمل مثلاً الحي والقرية والسوق، ومن البين أن الفرد عندما يكون داخل البيت، فهو يقع تحت رقابة رب الأسرة، وعندما يكون في المدرسة، فإنه يعيش في رعاية أساتذته وملاحظتهم، أما في الشارع فهو في حل من ذلك كله، وهنا يكون مكمن الخطر، ويصبح من السهل تعرضه للانزلاق والوقوع في مهاوي الأخطار، إما بالتفريط في واجباته الدينية، ومن ثم وقوعه بين أيدي رفقاء السوء من المجرمين وشذاذ الآفاق، وإما بالإفراط، فتستدرجه فئة المغالين، ومن ثم ينحرف عن السلوك السوي الذي يدعو إليه الإسلام، فإذا لم يكن المجتمع مدركاً للدور الكبير الذي ينبغي أن تقوم به مؤسساته المختلفة في رعاية الفرد أينما ذهب، وقع هذا الفرد في تلك المحاذير، وصار حينئذ من الصعب انتشاله منها.

4-دور وسائل الإعلام:

تتعدد وسائل الإعلام في كل مجتمع فمنها المقروء، ومنها المرئي، و منها المسموع، وهي ذات أثر خطير في التأثير على تفكير الناس وسلوكهم؛ لذلك فإن دورها في معالجة الغلو في الدين إذا ما تم على الوجه المطلوب سيكون فاعلاً ولكي يتحقق ذلك فلا بد أن يكون العاملون بها على مستوى عالٍ من الإيمان والعلم والالتزام الخلقي، وأن تكون المادة التي تقدم في وسائل الإعلام هادفة تدعو إلى الفضيلة والوسطية بعيدة في مضمونها عن الغلو والتطرف، بعيدة أيضاً عن الابتذال والإسفاف الذي عادة ما تكون له ردة فعل عكسية من قبل المغالين والمتطرفين.

وحتى تكون وسائل الإعلام في الطريق الصحيح لعلاج المغالاة في الدين، يحسن بها أن تفتح أبوابها لأصحاب الأفكار المعتدلة للإسهام في علاج هذه المشكلة.

هذا ما فتح الله به ويسر في تصوير ظاهرة الغلو في الدين وطرق علاجه، ندعو الله أن ينفع به كل من قرأه وأرشد إليه، إنه سميع مجيب.